

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠ - سُورَةُ ق

وتسمى سورة (الباسقات) . وهي مكية بالإجماع . وآياتها خمس وأربعون آية .
قال ابن كثير: وهذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح ، وقيل : من الحجرات .
وأما ما يقوله العوام أنه من (عم) فلا أصل له ، ولم يقله أحد من العلماء المعتبرين فيما نعلم .
والدليل ما رواه أوس بن حذيفة قال : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟
فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ؛ وحزب المفصل
وحده . فإذا عدت ثمانياً وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة (ق) بيانه :

ثلاث : البقرة وآل عمران والنساء .

وخمس : المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة .

وسبع : يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل .

وتسع : سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان .

وإحدى عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقان وألم السجدة

وسبأ وفاطر ويس .

وثلاث عشرة : الصافات وص والزمر وغافر وحَم السجدة وحَم عسق والزخرف

والدخان والجاثية الأحقاف والقتال والفتح والحجرات .

ثم بعد ذلك الحزب المفصل ، كما قاله الصحابة رضى الله عنهم ، فتعين أن أوله سورة (ق) .

وروى الإمام أحمد^(١) ومسلم^(٢) وأهل السنن أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي : ما كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيد ؟ قال : بـ (ق) و (اقتربت) .

وروى مسلم^(٣) وغيره ، عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : ما حفظت (ق) إلا من رسول الله ﷺ . كان يخطب بها كل جمعة . وفي رواية : كان يقرأها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس .

والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في الجامع الكبار ، كالعيد والجمع ، لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب . انتهى .

(١) أخرجه في المسند بالصفحة رقم ٢١٧ من الجزء الخامس (طبعة الحلبي) .

(٢) أخرجه مسلم في : ٨ - كتاب الصلاة ، حديث رقم ١٥١٤ (طبعتنا) .

(٣) أخرجه مسلم في : ٧ - كتاب الجمعة ، حديث ٥٢٤١ (طبعتنا) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (ق ، وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)

« ق » هو حرف من حروف التهجى المفتوح بها أوائل السور ، مثل : ص ، ون ، وآلم ، وحَم ، ونحوها . علم على السورة ، على الصحيح من أقوال ، كما تقدم مراراً .

تنبيه :

قال ابن كثير : روى عن بعض السلف أنهم قالوا : (ق) جبل محيط بجميع الأرض ، يقال له (جبل قاف) . وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بنى إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس ، لما رأى من جواز الرواية عنهم ، مما لا يُصدَّق ولا يكذب . وعندى أن هذا وأمثاله من اختلاف بعض زنادقتهم ، يلبسون به على الناس أمر دينهم ، كما افتُرى في هذه الأمة ، مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها ، أحاديث عن النبي ﷺ ، وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بنى إسرائيل ، مع طول المدى ، وقلة الحفاظ والنقاد فيهم ، وشر بهم الخور ، وتحريف علمائهم الحكم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته ؟ وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله ^(١) (وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) فيما قد يجوزه العقل . فأما فيما تحيله العقول ، ويحكم فيه بالبطلان ، ويغلب على الظنون كذبه ، فليس من هذا القبيل .

وقد أكثر كثير من السلف المفسرين ، وكذا طائفة كثيرة من الخلف ، من الحكاية عن كتب أهل الكتاب ، تفسير القرآن المجيد ، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ، والله الحمد والمنة .

(١) أخرجه البخارى في : ٦٠ - كتاب الأنبياء ، ٥٠ - باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ،

حديث رقم ١٦٢٤ عن ابن عمر .

ثم رد ابن كثير ، رحمه الله ، ما قيل من أن المراد من (ق) قضى الأمر والله ! كقول الشاعر^(١) :

* قلت لها قفي فقلت قاف *

أى : إني واقفة ، بأن فى هذا نظراً ، لأن الحذف فى الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف . انتهى .
« وَأَلْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ » أى : ذى المجد والشرف على غيره من الكتب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢] (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ)

« بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ » أى : لأن جاءهم منذر من جنسهم ، لا من جنس الملك ، أو من جلدتهم . وهو كما قال أبو السعود - إضراب عما ينبى عنه جواب القسم المحذوف ، كأنه قيل : والقرآن المجيد ، أنزلناه إليك ، لتنذر به الناس . حسبما ورد فى صدر سورة الأعراف ، كأنه قيل بعد ذلك : لم يؤمنوا به ، جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب ، مع كونهما أوفق شئ ، لقضية العقول ، وأقربه إلى التلقى بالقبول .

وقيل : التقدير : والقرآن المجيد ، إنك لمنذر . ثم قيل بعده إنهم شكوا فيه ، ثم أضراب عنه . وقيل : بل عجبوا ، أى لم يكتفوا بالشك والرد ، بل جزموا بالخلاف ، حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة . وقيل : هو إضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجيد ، كأنه قيل : ليس سبب اقتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لا مجدله ، ولكن لجهاهم .

« فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ » تفسير لتعجبهم ، وبيان لكونه مقارنا لغاية الإنكار ، مع زيادة تفصيل لحل التعجب . وهذا إشارة إلى كونه عليه الصلاة والسلام منذراً بالقرآن . وإضمارهم أولاً ، للإشعار بتعجبهم بما أسند إليهم . وإظهارهم ثانياً ، للتسجيل عليهم

(١) لم أقف عليه .

بالكفر بوجهه . أو عطف لتعجبهم من البعث ، على تعجبهم من البعثة . على أن هذا إشارة إلى مبهم ، يفسره ما بعده من الجملة الإنكارية .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣] (أَءَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ، ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ)

« أَءَذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا » تقرير للتعجب ، وتأكيده للإنكار . والعامل في (إذا) مضمر غنى عن البيان ، لغاية شهرته ، مع دلالة ما بعده عليه . أى : أحين نموت ونصير ترابا نرجع ، كما ينطق به النذير والمندر به . مع كمال التباين بيننا وبين الحياة ، حينئذ « ذَلِكَ » إشارة إلى محل النزاع « رَجْعٌ بَعِيدٌ » أى : عن الأوهام أو العادة أو الإمكان .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤] (قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ، وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ)

« قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ » أى : ما تأكل من أجسامهم بعد مماتهم . وهو رد لاستبعادهم ، وإزاحته . فإن من علم علمه ولطف حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى . وتأكل من لحومهم وعظامهم ، كيف يستبعد رجعه إياهم أحياء كما كانوا . وقيل : المعنى ما يموت فيدفن في الأرض منهم . « وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ » قال أبو السعود : أى حافظ لتفاصيل الأشياء كلها ، أو محفوظ من التغير . والمراد : إما تمثيل علمه تعالى بكليات الأشياء وجزئياتها ، بعلم من عنده كتاب محيط ، يتأق منه كل شيء . أو تأكيده لعلمه تعالى بها ، بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٥] (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ)

« بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ » وهو القرآن ، « لَمَّا جَاءَهُمْ » أى من غير تأمل وتفكير .

قال الزمخشري : إضراب أتبع الإضراب الأول ، للدلالة على أنهم جاءوا بما هو أفضع من تمجيدهم ، وهو التكذيب بالحق ، الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات ، في أول وهلة من غير تفكير ولا تدبر . وكونه أفضع ، للتصريح بالتكذيب من غير تدبر بعد التعجب منه . « فهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ » أى مضطرب . يعنى . اختلاف مقاتلهم فيه ، من ادعاء أنه شعر أو سحر ونحوه ، تمنناً وكبراً .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٦] (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ)
« أَفَلَمْ يَنْظُرُوا » أى هؤلاء المكذبون بالبعث ، المنكرون قدرتنا على إحيائهم بعد فناءهم ، « إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا » أى رفعناها بغير عمد ، « وَزَيَّنَّاهَا » أى بالنجوم ، « وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ » . قال ابن جرير ^(١) : يعنى وما لها من صدوع وفتوق .
كقوله تعالى ^(٢) (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ، فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) أى كليل عن أن ترى عيباً أو نقصاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٧] (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)
« وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا » أى بسطناها ، « وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ » أى جبلاً ثوابت ، حفظاً لها من الاضطراب ، لقوة الجيشان في جوفها ، « وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ » أى صنف ، « بَهِيجٍ » أى حسن المنظر ، يتبهج به لحسنه .

(١) انظر الصفحة رقم ١٥١ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٦٧ / الملك / ٤٣] .

القول في تأويل قوله تعالى :

[۸] (تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ)

« تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ » أى لتبصر وتذكّر كل عبد منيب راجع إلى ربه ، مفكّر في بدائع صنعه . و (تَبْصِرَةً) و (ذِكْرَىٰ) منصوبان بالفعل الأخير على أنهما مفعولان له ، وإن كانتا علتين للأفعال المذكورة معنى . أو بفعل مقدر . أى فعلنا ما فعلنا تبصيراً وتذكيراً .

القول في تأويل قوله تعالى :

[۹] (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ)

[۱۰] (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ)

[۱۱] (رِزْقًا لِلْعِبَادِ ، وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْمَنًا ، كَذَلِكَ الْخُرُوجُ)

« وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ » أى المزن « مَاءً مُّبَارَكًا » أى كثير المنافع ، « فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ » أى أشجاراً ذوات أنمار ، « وَحَبَّ الْحَصِيدِ » أى الزرع المحصود من البرّ والشعير وسائر أنواع الحبوب . وتخصيص إنبات حبه بالذكر ، لأنه المقصود بالذات . « وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ » أى وأنبتنا بالماء الذى أنزلناه من السماء ، النخل طوالاً ، أو حوامل . من (أبسقت الشاة) إذا حملت ، فيكون من (أفعل) فهو (فاعل) . والقياس (مفعول) فهو من النواذر كالطوايح واللوايح ، فى أخوات لها شاذة . وإفرادها بالذكر مع دخولها فى (جَنَّاتٍ) لبيان فضلها بكثرة منافعها . وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتنيازها عن البقية ، مع ما فيه من مراعاة الفواصل . « لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ » أى متراكم بعضه فوق بعض . « رِزْقًا لِلْعِبَادِ » أى لرزقهم . قال أبو السعود : علة لقوله تعالى (فَأَنْبَتْنَا) . وفى تعليقه بذلك ، بعد تعليل أنبتنا الأول بالتبصرة والتذكير ، تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه

بذلك من حيث التذكّر والاستبصار ، أهم من تمتعه به من حيث الرزق . وقيل : (رَزَقًا) مصدر من معنى (أَنْزَلْنَا) ، لأنّ الإنبات رزق . « وَأَحْيَيْنَا بِهِ » أى بذلك الماء « بِلَدَةٍ مَيِّتًا » أى أرضاً جدبة ، فأنبت أنواع النبات والأزهار . « كَذَلِكَ الْخُرُوجُ » أى خروجهم أحياء من القبور . شبه بعث الأموات ونشرهم ، بقدرته تعالى بإخراج النبات من الأرض ، بعد وقوع المطر عليها ، ف (كَذَلِكَ) خبر (الْخُرُوجُ) . أو مبتدأ فالكاف بمعنى (مثل) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٢] (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ)

[١٣] (وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ)

[١٤] (وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ، كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ)

« كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ » أى قبل قريش « قَوْمُ نُوحٍ » قال أبو السعود : استئناف وارد لتقرير حقيقة البعث ، ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها ، وتعذيب منكريها . « وَأَصْحَابُ الرَّسِّ » وهو بئر كانوا عنده ، يقال إنهم قوم شعيب عليه السلام . ويقال غير ذلك ، كما تقدم فى سورة الفرقان . « وَثَمُودُ » وهم الذين جادلوا صالحاً ، وقتلوا الناقة . « وَعَادُ » وهم الذين جادلوا هوداً فى أصنامهم . « وَفِرْعَوْنُ » وهو الذى جادل موسى فيما أرسل به . قال الرازى : ولم يقل (وقوم فرعون) لأن فرعون كان هو المغترّ المستخف بقومه ، المستبد بأمره . « وَإِخْوَانُ لُوطٍ » وهم الذين جادلوه فى إيمان الرجال . « وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ » أى أى الغيضة من الشجر ، المجادلون شعيباً فى الكيل والوزن . (وَقَوْمُ تُبَّعٍ) قال المهايى : المجادلون إمامهم وعلماءهم فى الدين . ومضى الكلام على ذلك فى الحجر والدخان . « كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ » أى كل من هذه الأمم ، وهؤلاء القرون ، كذبوا رسلهم ،

ومن كذب رسولاً ، فكأنما كذب جميع الرسل ، كقوله تعالى^(١) (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) ، وإنما جاءهم رسول واحد ، فهم في نفس الأمر ، لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم - أفاده ابن كثير - وهو توجيه لجمع الرسل . وإفراد ضمير (كَذَّبَ) مراعاة للفظ (كُلُّ) فإنه مفرد وإن كان جمعاً معنى . « فَحَقَّ وَعِيدِ » أى فوجب لهم الوعيد الذى وعد به من كفر ، وهو العذاب والنقمة .

قال ابن جرير^(٢) : إنما وصف تعالى في هذه الآية ما وصف من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذبين الرسل ، ترهيباً منه بذلك مشركى قريش ، وإعلاماً منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ أنه مُجِلٌّ بهم من العذاب مثل الذى أحل بهم . أى فهو تسليمة للرسول صلوات الله عليه ، وتهديد لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٥] (أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ، بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)

« أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ » أى : أفعجزنا عن الإبداء ، حتى نعجز عن الإعادة ، فالهمزة للإنكار . قال الشهاب : العى هنا بمعنى العجز ، لا التعب . قال الكسائى : تقول (أعيت) من التعب و (عيت) من انقطاع الحيلة ، والعجز عن الأمر . وهذا هو المعروف والأفصح ، وإن لم يفرق بينهما كثير . و (الخلق الأول) هو الإبداء على ما ذكر ، ويحتمل أن يراد به خلق السموات والأرض ، لأن خلق الإنسان متأخر عنه . ويدل له آية^(٣) (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيَّرْ بِخَلْقِهِنَّ) الآية .

وقوله « بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ » عطف على مقدر ، يدل عليه ما قبله ،

(١) [٢٦ / الشعراء / ١٠٥] .

(١) انظر الصفحة رقم ١٥٦ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٣) [٤٦ / الأحقاف / ٣٣] .

كأنه قيل : هم معترفون بالخلق الأول ، فلا وجه لإنكارهم للثاني ، بل هم اختلط عليهم الأمر والتبس ، لعدم فهمهم إعادة مامات وتفرق أجزاؤه وإعراضهم عن سلطان القدرة الإلهية ، وسهولة ذلك في المقدورات الربانية .

لطيفة :

قال الناصر : في الآية أسئلة ثلاثة : لِمَ عَرَفَ الخلق الأول ، ونَسَرَ اللبس ، والخلق

الجديد ؟

فاعلم : أن التعريف لا غرض منه إلا تفخيم ما قصد تعريفه وتعظيمه ، ومنه تعريف الذكور في قوله ^(١) (وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) ، ولهذا المقصد عرف الخلق الأول ، لأن الغرض جملة دليلاً على إمكان الخلق الثاني بطريق الأولى . أى إذا لم يعى تعالى بالخلق الأول ، على عظمته ، فالخلق الآخر أولى أن لا يعي به . فهذا سر تعريف الخلق الأول .

وأما التنكير فأمره منقسم : فمرة يقصد به تفخيم المنكر ، من حيث ما فيه من الإبهام ، كأنه أنخم من أن يخاطبه معرفة . ومرة يقصد به التقليل من المنكر ، والوضع منه . وعلى الأول ^(٢) (سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ) وقوله ^(٣) (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) ، و ^(٤) (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) ، وهو أكثر من أن يحصى . والثاني : هو الأصل في التنكير ، فلا يحتاج إلى تمثيله . فتنكير (اللبس) من التعظيم والتفخيم ، كأنه قال : في لبس أى لبس . وتنكير (الخلق الجديد) للتقليل منه ، والتهوين لأمره ، بالنسبة إلى الخلق الأول . ويحتمل أن يكون للتفخيم ، كأنه أمر أعظم من أن يرضى الإنسان بكونه ملتبساً عليه ، مع أنه أول ما تبصر فيه صحته . انتهى .

(١) [٤٢ / الشورى / ٤٩] .

(٢) [٣٦ / يس / ٨٥] . (٣) [٥ / المائدة / ٩] و [٤٩ / الحجرات / ٣] .

(٤) [٥٢ / الطور / ١٧] .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٦] (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ » أى تحدث به نفسه، وهو ما يحظر بالبال . وقوله تعالى « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » تمثيل للقرب المعنوي ، بالصورة الحسية المشاهدة . وقد جعل ذاك القرب أتم من غاية القرب الصوري ، الذى لا اتصال أشد منه فى الأجسام ، إذ لا مسافة بين الجزء المتصل به وبينه .

قال الشهاب : تجوز بقرب الذات عن قرب العلم ، لتزاهه عن القرب المسكاني ، إما تمثيلاً ، وإما من إطلاق السبب وإرادة المسبب ، لأن القرب من الشيء سبب للعلم به وبأحواله فى العادة . والمعنى : أنه تعالى أعلم بأحواله ، خفيها وظاهرها ، من كل عالم . وقد ضرب المثل فى القرب بحبل الوريد ، لأن أعضاء المرء وعروقه متصلة على طريق الجزئية ، فهى أشد من اتصال ما اتصل به من الخارج . وخص هذا لأن به حياته ، وهو بحيث يشاهده كل أحد . والحبل : العرق . شبه بواحد الحبال . فإضافته للبيان أو لامية ، من إضافة العام للخاص . فإن أبقي الحبل على حقيقته ، فإضافته كالجين الماء .

تنبيه :

تأول ابن كثير الآية على غير ما تقدم ، بجعل (نحن) كناية عن الملائكة ، وعبارته : يعنى ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه . قال : ومن تأوله على العلم ، فإنما فرقاً لثلا يلزم حلول أو اتحاد ، وهما منفيان بالإجماع ، تعالى الله وتقدس ، ولكن اللفظ لا يقتضيه ، فإنه يقل (وأنا أقرب إليه) وإنما قال (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) كما قال فى المحضر^(١) (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) يعنى : ملائكته . وكما قال

(١) [٥٦ / الواقعة / ٨٥] .

تبارك وتعالى : ^(١) (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن ، بإذن الله عز وجل . وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من جبل وريده ، بإقدار الله ، جل وعلا ، لهم على ذلك . فللملك لمة من الإنسان ، كما أن للشيطان لمة . ولذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم . ثم أيد ابن كثير رحمه الله ما ذكره ، بما ورد في الآية بعدها . والوجه الأول أدق وأقرب ، وفيه من الترهيب وتفاهى سعة العلم ، مع التعريف بجلالة المقام الرباني ، ما لا يخفى حسنه . وليس تأويل مَنْ تأول بالعلم ، للفرار من الحلول والاتحاد فقط ، بل له ولما تقدم أولا . كما أن إثبات (نحن) على (أنا) لا يحسم ما نقاه ، لاحتمال إرادة التعظيم ؛ (نحن) كما هو شائع ، فلا يتم له ذلك . نعم ! اللفظ الكريم يحتمل ما ذكره بأن يكون ورد ذلك تعظيماً للملك ، لأنه بأمره تعالى وبإذنه ، ولكن لا ضرورة تدعو إليه ، مع ما عرف من أن الأصل الحقيقة . وقد عني رحمه الله بمن فهم الحلول والاتحاد ، مَنْ قال في تفسير الآية كالفقاشاني - ما مثاله : وإنما كان أقرب مع عدم المسافة بين الجزء المتصل به وبينه ، لأن اتصال الجزء بالشئ يشهد بالبينونة والائتمانية الراجعة للاتحاد الحقيقي . ومعيته وقربه من عبده ليس كذلك ، فإن هويته وحقيقته المدرجة في هويته وتحققه ليست غيره ، بل إن وجوده المخصوص المعين إنما هو بعين حقيقته التي هي الوجود ، من حيث هو وجود ، ولولاه لكان عدماً صرفاً ولا شيئاً محضاً . انتهى كلام الفقاشاني . ولا يفهم من ذلك حلول ولا اتحاد بالمعنى المتعارف ، لأن لهؤلاء اصطلاحاً معروفاً ، وهم أول من يتبرأ من الحلول والاتحاد ، كما أوضحت ذلك مع برهان استحقاقهما ، في كتاب (دلائل التوحيد) الذي طبع بحمد الله من أمد قريب . فارجع إليه ، واستغفر لمصنفه .

أقول : رأيت ابن كثير بعدد ، مسبقاً بما ذكره شيخه الإمام ابن تيمية ، فقد أوضح ذلك رحمه الله في كتابه (شرح حديث النزول) : ليس في القرآن وصف الرب تعالى بالقرب

من كل شيء أصلاً ، بل قربه الذى فى القرآن خاص لا عام ، كقوله تعالى ^(١) (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) . فهو سبحانه قريب ممن دعاه . وكذلك ما فى الصحيحين ^(٢) عن أبى موسى الأشعرى : أنهم كانوا مع النبي ﷺ فى سفر ، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير ، فقال : (أيها الناس ! اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، وإنما تدعون سميماً قريباً . إن الذين تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) . فقال : إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم ، لم يقل : إنه قريب إلى كل موجود . وكذلك قول صالح عليه السلام ^(٣) (فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) ومعلوم أن قوله (قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) مقرون بالتوبة والاستغفار . أراد به ، قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين إليه ، كما أنه رحيم ودود . وقد قرن القريب بالمجيب . ومعلوم أنه لا يقال مجيب لكل موجود ، وإنما الإجابة لمن سألته ودعاه ، فكذلك قربه سبحانه وتعالى ، وأسماء الله المطلقة كاسمه السميع والبصير والغفور والشكور والمجيب والقريب ، لا يجب أن تتعلق بكل موجود ، بل يتعلق كل اسم بما يناسبه . واسمه العليم ، لما كان كل شيء يصلح أن يكون معلوماً يتعلق بكل شيء . وأما قوله تعالى (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) فالمراد به قربه إليه بالملائكة . وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف . قالوا : ملك الموت أذن إلى من أهله ، ولكن لا تبصرون الملائكة . وقد قال طائفة (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) بالعلم . وقال بعضهم : بالعلم والقدرة والرؤية . وهذه الأقوال ضعيفة ، فإنه ليس فى الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود ، حتى يحتاجوا

(١) [٢ / البقرة / ١٨٦] .

(٢) أخرجه البخارى فى : ٥٦ - كتاب الجهاد ، ١٣١ - باب ما يكره من رفع الصوت فى التكبير ، حديث رقم ١٤٢٣ .

وأخرجه مسلم فى : ٤٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، حديث ٤٤ - ٤٧ (طبعنا) .

(٣) [١١ / هود / ٦١] .

أن يقولوا بالعلم والقدرة ، ولكن بعض الناس ، لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء ، تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء ؛ قادر على كل شيء ، وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب ، مثل لفظ المعية . وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا في آية^(١) (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) هو معهم بعلمه ، مع علوه على عرشه . وقد ذكر ابن عبد البر وغيره ؛ أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين ، لم يخالفهم فيه أحد .

ثم قال : ولم يأت في لفظ القرب مثل ذلك أنه قال : هو فوق عرشه ، وهو قريب من كل شيء ، بل قال^(٢) (إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) وقال^(٣) (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) .

وقد روى ابن أبي حاتم بسنده أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! أقرب ربنا ففناجيه ، أم بعيد ففناديه ؟ فسكت النبي ﷺ ، فأنزله الله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي . .) الآية . ولا يقال في هذا قريب بعلمه وقدرته ، فإنه عالم بكل شيء ، قادر على كل شيء ، وهم لم يشكوا في ذلك ، ولم يسألوا عنه ، وإنما عن قرب به إلى من يدعوه ويناجيه ، فأخبر أنه قريب مجيب .

وطائفة من أهل السنة تفسر القرب في الآية والحديث بالعلم ، لكونه هو المقصود ، فإنه إذا كان يعلم ويسمع دعاء الداعي حصل مقصوده . وهذا هو الذي اقتضى أن يقول من يقول ، بأنه قريب من كل شيء ، بمعنى العلم والقدرة ، فإن هذا قد قاله بعض السلف ، وكثير من الخلف ، لكن لم يقل أحد منهم إن نفس ذاته قريب من كل موجود . وهذا المعنى يقر به جميع المسلمين ، من يقول إنه فوق العرش ، ومن يقول إنه ليس فوق العرش .

ثم قال : وهؤلاء كلهم مقصودهم أنه ليس المراد أن ذات الباري جل وعلا قريبة من

(١) [٥٧ / الحديد / ٤] . (٢) [٧ / الأعراف / ٥٦] .

(٣) [٢ / البقرة / ١٨٦] .

وريد العبد ، ومن الميت . ولما ظنوا أن المراد قربه وحده دون الملائكة ، ففسروا ذلك بالعلم والقدرة ، كما في لفظ المعية . ولا حاجة إلى هذا ، فإن المراد بقوله (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ) أى بملائكتنا ، في الآيتين : وهذا بخلاف المعية ، فإنه لم يقل : ونحن معه ، بل جعل نفسه هو الذى مع العباد ، وأخبر أنه ينبئهم يوم القيامة بما عملوا ، وهو نفسه الذى خلق السموات والأرض ، وهو نفسه الذى استوى على العرش ، فلا يجعل لفظ مثل لفظ ، مع تفريق القرآن بينهما .

ثم قال : وقوله تعالى (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) لا يجوز أن يراد به مجرد العلم ، فإن من كان بالشئ أعلم من غيره ، لا يقال إنه أقرب إليه من غيره ، بمجرد علمه به ، ولا بمجرد قدرته عليه . ثم إنه سبحانه عالم بما يُسرُّ من القول ، وما يجر به ، وعالم بأعماله ، فلا معنى لتخصيصه حبل الوريد بمعنى أنه أقرب إلى العبد منه ، فإن حبل الوريد قريب إلى القلب ، ليس قريباً إلى قوله الظاهر ، وهو يعلم ظاهر الإنسان وباطنه . قال تعالى ^(١) (يَعْلَمُ الْسِرَّ وَخَفَى) ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم ، سياق الآية ، فإنه قال ^(٢) (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) فأخبر أنه يعلم وسواس نفسه ، ثم قال (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) فأثبت العلم ، وأثبت القرب ، وجعلهما شيئين ، فلا يحمل أحدهما هو الآخر ، وقيد القرب بقوله (إِذْ يَتَلَقَّى . . .) الآية .

وأما من ظن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد ، وأن ذاته أقرب إلى الميت من أهله ، فهذا في غاية الضعف . وذلك أن الذين يقولون إنه في كل مكان ، وإنه قريب من كل شئ بذاته ، لا يخصون بذلك شيئاً دون شئ ، ولا يمكن مسلماً أن يقول إن الله قريب من الميت دون أهله ، ولا أنه قريب من حبل الوريد دون سائر الأعضاء . وكيف يصح هذا الكلام على أصلهم ، وهو عندهم في جميع بدن الإنسان ، وهو في أهل الميت ، كما

(١) [٢٠ / طه / ٧] . (٢) [٥٠ / ق / ١٦] .

هو في الميت ، فكيف يكون (أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ) إذا كان معه ومعهم على وجه واحد ؟ وهل يكون أقرب إلى نفسه من نفسه ، وسياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة ، فإنه قال (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . إِذْ يَتَلَقَّى ...) الآيتين . فقيد القرب بهذا الزمان ، وهو زمان تلقى المتلقين ، وها الملاك الحافظان اللذان يكتبان ، كما قال ^(١) (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ ...) الآية . ومعلوم أنه لو كان قرب ذات لم يخص ذلك بهذا الحال ، ولم يكن لذكر القعידين الرقيب والعetid معنى مناسب . وكذلك قوله في الآية الأخرى ^(٢) (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) فإن هذا إنما يقال إذا كان هناك من يجوز أن يبصر في بعض الأحوال ، لكن نحن لا نبصره ، والرب تعالى في هذه الحال لا يراه الملائكة ، ولا البشر . وأيضاً فإنه قال (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ) فأخبر عن هو أقرب إلى المحتضر من الناس الذين عنده في هذه الحال . وذات الرب سبحانه وتعالى إذا قيل هي في مكان ، أو قيل قريبة من كل موجود ، لا يختص بهذا الزمان والمكان والأحوال ، فلا يكون أقرب إلى شيء من شيء ، ولا يجوز أن يراد قرب الرب الخاص ، كما في قوله (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) فإن ذلك إنما هو قرب به إلى من دعاه أو عبده . وهذا المحتضر قد يكون كافراً وفاجراً ، أو مؤمناً ومقرباً . ولهذا قال تعالى ^(٣) (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ * فَسَاءَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَتَزِلُّ مِنَ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ) . ومعلوم أن مثل هذا المكذب لا يخصه الرب بقرب منه ، دون من حوله ، وقد يكون حوله قوله مؤمنون . وإنما هم الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن والكافر ، كما قال تعالى ^(٤) (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) وقال

(٢) [٥٦ / الواقعة / ٨٣-٨٥] .

(١) [٥٠ / ق / ١٨] .

(٤) [٤ / النساء / ٩٧] .

(٣) [٥٦ / الواقعة / ٨٨-٩٤] .

تعالى^(١) (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ اتَّوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) وقال^(٢) (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) وقال تعالى^(٣) (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ) وقال تعالى^(٤) (قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) . ومما يدل على ذلك أنه ذكره بصيغة الجمع فقال (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) وهذا كقوله^(٥) سبحانه (نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَّبَأِ مَوْسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وقال^(٦) (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ) وقال^(٧) (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) فإن مثل هذا اللفظ إذا ذكره الله تعالى في كتابه، دل على أن المراد أنه سبحانه بجنوده وأعوانه من الملائكة . فإن صيغة (نحن) يقولها المتبوع المطاع العظيم الذي له جنود يتبعون أمره، وليس لأحد جند يطيعونه كطاعة الملائكة ربهم، وهو خالقهم وربهم، فهو سبحانه العالم بما توسوس به نفسه ، وملائكته تعلم ، فكان لفظ (نحن) هنا هو المناسب . وكذلك قوله (وَنَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ) فإنه سبحانه يعلم ذلك، وملائكته يعلمون ذلك ، كما ثبت في الصحيحين^(٨) عن النبي ﷺ أنه قال : إذا هم العبد بحسنة كتبت

(١) [٨ / الأنفال / ٥٠] . (٢) [٦ / الأنعام / ٩٣] .

(٣) [٦ / الأنعام / ٦١] . (٤) [٣٢ / السجدة / ١١] .

(٥) [٢٨ / القصص / ٣] . (٦) [١٢ / يوسف / ٣] .

(٧) [٧٥ / القيامة / ١٧-١٩] . (٨) أخرجه البخاري في : ٨١ - كتاب الرقاق ،

٣١ - باب من هم بحسنة أو بسيئة . حديث ٢٤٣٥ ، عن ابن عباس .

وأخرجه مسلم في : ١ - كتاب الإيمان ، حديث ٢٠٧ (طبعتنا) .

له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر حسنات . وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة ، وإن تركها لله كتبت له حسنة . فالملك يعلم ما يهيم به العبد من حسنة وسيئة ، وليس ذلك من علمهم الغيب الذي اختص الله به .

ثم قال : وقوله ^(١) (وَنَعْلَمُ مَا تُوسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبَلٍ أَلْوَرِيدِ) يقتضى أنه سبحانه وجنده الموكلين بذلك ، يعلمون ما توسوس به للعبد نفسه ، كما قال ^(٢) (أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) فهو يسمع ، ومن يشاء من ملائكته . وأما الكتابة ، فرسله يكتبون كما قال هاهنا ^(٣) : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْنَا رَقِيبٌ عَتِيدٌ) وقال تعالى ^(٤) (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَرَهُمْ) وأخبر بالكتابة (نحن) لأن جنده يكتبون بأمره ، وفصل في تلك الآية بين السماع والكتابة ، لأنه يسمع بنفسه ، وأما كتابة الأعمال فتكون بأمره ، والملائكة يكتبون . فقوله (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) مثل قوله (نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَرَهُمْ) لما كانت ملائكته مقربين إلى العبد بأمره ، كما كانوا كاتبين عمله بأمره ، فإن ذلك قربه من كل أحد بتوسط الملائكة ، كتكليمه عبده بتوسط الرسل ، كما قال ^(٥) تعالى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) فهذا تكليمه لجميع عباده بواسطة الرسل ، وذلك قربه إليهم عند الاحتضار ، وعند الأقوال الباطنة في النفس والظاهرة . انتهى كلامه رحمه الله . وقوله تعالى :

(١) [٥٠ / ق / ١٦] . (٢) [٤٣ / الزخرف / ٨٠] .

(٣) [٥٠ / ق / ١٨] . (٤) [٣٦ / يس / ١٢] .

(٥) [٤٢ / الشورى / ٥١] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٧] (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ)

« إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ » أى ونحن أقرب إلى الإنسان من وريد حلقة حين يتلقى الملسكان الحفيظان ما يتلفظ به . ف (إذ) ظرف (لأقرب) وفيه إيذان بأنه غنى عن استحفاظ الملسكين ، فإنه أعلم منهما ، ومطلع على ما يخفى عليهما ، لكنه الحكمة اقتضته ، وهى إلزام الحجة فى الأخرى ، والتقدم إلى ما يرغبه ويرهبه فى الأولى .

وقال القاشانى : بين تعالى بهذه الآية أقربيته ليتلقى القرب بمعنى الاتصال والمقارنة ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : هو مع كل شىء ، لا بمقارنة ، إذ الشىء به ذلك الشىء ، وبدونه ليس شيئاً حتى يقارنه . أى : يعلم حديث نفسه الذى توسوس به نفسه وقت تلقى المتلقين ، مع كونه أقرب إليه منهما . وإنما تلقىهما للحجة عليه ، وإثبات الأقوال والأعمال فى الصحائف النورية ، للجزاء .

ثم قال : والمتلقى القاعد عن اليمين ، هو القوة العاقلة العملية المنتقشة بصور الأعمال الخيرية المرتسمة بالأقوال الحسنة الصائبة . وإنما قعد عن يمينه ، لأن اليمين هى الجهة القوية الشريفة المباركة ، وهى جهة النفس التى تلى الحق . والمتلقى القاعد عن الشمال هو القوة المتخيلة التى تنتقش بصور الأعمال البشرية البهيمية والسبعية ، والآراء الشيطانية الوهمية ، والأقوال الخبيثة الفاسدة . وإنما قعد عن الشمال ، لأن الشمال هى الجهة الضعيفة الحسيسة المشؤومة ، وهى التى تلى البدن ، ولأن الفطرة الإنسانية خيرة بالذات ، لكونها من عالم الأنوار ، مقترضة بذاتها ، وغريزتها الخيرات . والشروع إنما هى أمور عرضت لها من جهة البدن وآلاته وهياته ، يستولى صاحب اليمين على صاحب الشمال ، فكما صدرت منه حسنة كتبها له فى الحال ، وإن صدرت منه سيئة مفع صاحب الشمال عن كتابتها فى الحال انتظاراً للتسبيح ، أى التنزية عن الغواشى البدنية ، والهيآت الطبيعية ، بالرجوع إلى مقره الأصلى ، وسنخه

الحقيق ، وحاله الغريزي ، لينمحي أثر ذلك الأمر العارضى ، بالنور الأصلي والاستغفار ، أى التنوير بالأنوار الروحية والتوجه إلى الحضرة الإلهية ، لينمحي أثر تلك الظلمة العرضية ، بالنور الوارد كما روى أن كاتب الحسنات على يعين الرجل ، وكاتب السيئات على يساره ، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرًا ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب اليسار : دعه سبع ساعات ، لعله يسبح أو يستغفر ! انتهى .

وقد كثر في كلام القاشانى رحمه الله تأويل الملك بالقوة الحائنة على الخير ، والشيطان بالمغوية على الشر . وسبقه إليه الحكماء . قال بعض الحكماء : هذا الشيء الذى أودع فيها ونسميه قوة وفكرًا ، وهو فى الحقيقة معنى لا يدرك كنهه ، وروح لا تسكتنه حقيقةً ، لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكًا ، ويسمى أسبابه ملائكة ، أو ما شاء من الأسماء ، فإن التسمية لا حجب فيها على الناس ، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة ، والسلطان النافذ ، والعلم الواسع .

وقد سبق الغزالى إلى هذا المعنى ، وعبر عنه بالسبب وقال : إنه يسمى ملكًا ، فإنه ، فى شرح عجائب القلب من كتاب (الإحياء) ، بعد ما قسم الخواطر إلى محمود ومذموم ، قال : وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان : فسبب الخاطر الداعى إلى الخير يسمى ملكًا ، وسبب الخاطر الداعى إلى الشر يسمى شيطانًا . . الخ . والبحث كله غرر ، تجدر مراجعته . لطيفة : (قَعِيدٌ) كجليس ، بمعنى محالس ، لفظًا ومعنى . وإنما أفرد رعاية للفواصل ، فحذف الأول لدلالة الثانى عليه ، كقوله (١) :

* فإنى وقيارٌ بها لغريبٌ *

(١) قائله ضابئ بن الحارث البرجى . وصدده : * وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ *
و (قِيَار) اسم جَمْعِهِ .

وذلك من أربعة أبيات ، أنشدها المبرد فى الكامل ، ص ١٨١ (طبعة أوروبا) .

وقيل : يطلق (فعيل) للواحد والمتعدد ، كقوله ^(١) (وَالْمَلَأْنِيكَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) ، وضعف بأنه ليس على إطلاقه ، بل إذا كان (فعيل) بمعنى (مفعول) بشروطه ، وهذا بمعنى (فاعل) ، فلا يصح فيه ذلك إلا بطريق الجمل على (فعيل) بمعنى (مفعول) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٨] (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)

« مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ » أى ملك يرقب عمله ، « عَتِيدٌ » أى حاضر . ولما ذكر استبعادهم للبعث ، وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه ، أعلمهم بأنهم يلاقون ذلك عن قريب ، ونبه على اقترابه بلفظ الماضي ، فقال سبحانه :

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٩] (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)

« وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ » أى شدته المحيرة الشاغلة للحواس ، المذهلة للعقل « بِالْحَقِّ » أى بالموعود الحق ، والأمر المحقق ، وهو الموت ، فالباء للملابسة . أو بالموعود الحق من أمر الآخرة ، والثواب والعقاب الذى غفل عنه ، فالباء للتعدي . أى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر ، وهى أحوالها الباطنة ، وأظهرتها عليه .

قال الشهاب : السكرة استعيرت للشدة ، ووجه الشبه بينهما أن كلاهما مذهب للعقل ، فلاستعارة تصريحية تحقيقية . ويجوز أن يشبه الموت بالشراب على طريق الاستعارة المسكنية . وإنبات السكرة لها ، تخييل . « ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ » أى تفر . والجملة على تقدير القول . أى يقال له فى وقت الموت : ذلك الأمر الذى رأيته هو الذى كنت منه تحيد فى حياتك ، فلم ينفعك الحرب والفرار . وهل المشار إليه بذلك ، الحق أو الموت ؟

(١) [٦٦ / التحريم / ٤] .

قال الطيبي : إن اتصل قوله (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ . .) الخ بقوله (فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) وما معه ، فالمشار إليه بذلك الحق ، والخطاب للفاجر . أى جاءك أيها الفاجر الحق الذى أنكرته . وإن اتصل بقوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ...) الخ ، فالمشار إليه الموت . والالتفات لا يفارق الوجهين . والثانى هو المناسب ، لقوله (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) بعده ، وتفصيله ^(١) (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) ^(٢) (وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) انتهى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٠] (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ، ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ)

[٢١] (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ)

« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ » يعنى : نفخة البعث « ذَلِكَ » أى النفخ « يَوْمُ الْوَعِيدِ » أى وقت تحقق الوعيد ، بشهود ما قدم من الأعمال وما آخر « وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ » قال ابن جرير ^(٣) : أى سائق يسوقها إلى الله ، وشاهد يشهد عليها بما عملت فى الدنيا من خير أو شر . وهل هما ملكان ، أو ملك جامع للوصفين ، أو الأول ملك ، والثانى الإنسان نفسه يشهد على نفسه ، أو سائق من أعمالها ، إلى مكان جزائها ، وشهيد من أجزائها ؟ أقوال : وقال القاشانى : أى سائق من عمله ، وشهيد من عمله ، لأن كل أحد ينجذب إلى محل نظره ، وما اختاره بعلمه . والميل الذى يسوقه إلى ذلك الشئ إنما نشأ من شعوره بذلك الشئ ، وحكمه بملاءمته له ، سواء كان أمراً سفليةً جسمانيةً بعته عليه هواه ، وأغراه عليه وهمه وقواه ؛ أو أمراً علويةً روحانيةً بعته عليه عقله ، ومحبتة الروحانية ، وحرصه عليه قلبه وفطرته الأصلية . فالعلم الغالب عليه سائقه إلى معلومه ، وشاهده بالميل الغالب عليه ، والحب الراسخ فيه ،

(١) [٥٠ / ق / ٢٤] . (٢) [٥٠ / ق / ٣١] .

(٣) انظر الصفحة رقم ١٦١ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

والعمل المكتوب في صحيفته يشهد عليه بظهوره على صور أعضائه وجوارحه ، وينطق عاينه كتابه بالحق ، وجوارحه بهيأت أعضائه المتشكلة بأعماله . انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

حَدِيدٌ)

« لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ »

في المخاطب بهذا ، أقوال ثلاثة :

أحدها - أنه النبي ﷺ ، أتى بهذه الجملة معترضة في خلال أمر النبا الأخرى ، تنويعاً بمنة الإعلام بذلك ، والتعريف به ، ثم شدة نفوذ البصر به ، والوقوف على غوامضه ، بعد خلو الذهن عنه رأساً . والمعنى : لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل أن يوحى إليك ، فكشفنا عنك غطاءك بإزالة إليك ، فبصرك اليوم حديد ، نافذ قوى ، ترى ما لا يرون ، وتعلم ما لا يعلمون . ومثله آية (١) (مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) .

وثانيها - أنه الكافر ، وأن الكلام على تقدير القول . أى : يقال له لقد كنت في غفلة من هذا الذى عاينت اليوم من الأحوال ، فكشفنا عنك غطاءك ، بأن جليتنا لك ، ذلك ، وأظهرناه لعينيك ، حتى رأيت وعابنته ، فزال الغفلة عنك . ومثله عن الكفار آية (٢) (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا) وآية (٣) (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) .

وثالثها - أنه الإنسان مطلقاً ، لقوله (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ) ، والمقصود أنه كشف الغطاء عن البر والفاجر ، ورأى كل ما يصير إليه .

(٢) [١٩ / مريم / ٣٨] .

(١) [٤٢ / الشورى / ٥٢] .

(٣) [٣٢ / السجدة / ١٢] .

وعول ابن جرير^(١) في الأولوية على الثالث .

قال الزخشرى : جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله ، أو غشاوة غطى بها عينييه ، فهو لا يبصر شيئاً . فإذا كان يوم القيامة تيقظ ، وزالت الغفلة عنه وغطاؤها ، فيبصر ما لم يبصره من الحق .

وقال القاشانى في تأويل الآية : (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا) لاحتجابك بالחס والمحسوسات ، وذهولك عنه ، لاشتغالك بالظاهر عن الباطن (فَكَشَفْنَا عَنْكَ) بالموت (غِطَاءَكَ) المادى الجسمانى ، الذى احتجبت به (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) أى إدراكك لما ذهلت عنه ، ولم تصدق بوجوده ، قوى تعينه . انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٣] (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ)

« وَقَالَ قَرِينُهُ » أى قرين هذا الإنسان الذى جىء به يوم القيامة معه سائق وشهيد ، وهو إما الملك الموكل عليه فى الدنيا لكتابة أعماله ، وهو الرقيب المتقدم ، أو الشيطان الذى قبض له مقارناً له يغويه ، وهو الأظهر - كما اعتمده الزخشرى - لآية^(٢) « نُقِصَ لَهُ وَشَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » ويشهد له قوله تعالى^(٣) (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) « هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ » أى هذا شئ لدى حاضر معدّ محفوظ . والإشارة على الأول لما فى حنفه ، وعلى الثانى للشخص نفسه . أى هذا ما لدى عتيد لجهنم هيأته بإغوائى لها .

وقال القاشانى : (وَقَالَ قَرِينُهُ) أى من شيطان الوهم الذى غره بالظواهر ، وحجبه عن البواطن . (هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ) مهياً لجهنم . أى ظهر تسخير الوهم إياه فى التوجه إلى

(١) انظر الصفحة رقم ١٦٤ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) [٤٣ / الزخرف / ٣٦] . (٣) [٥٠ / ق / ٢٧] .

الجهة السفلية ، وأنه ملكه ، واستعبده في طلب اللذات البدنية ، حتى هياه لجهم في قعر الطبيعة . انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٤] (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ)

« أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ » خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد ، على أنهما ملكان ، لا ملك جامع للوصفين ، أو لملكين من خزنة النار ، أو لواحد ، وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل ، وتكريره على أن أصله : ألق ، ألق ، ثم حذف الفعل الثاني ، وأبقى ضميره مع الفعل الأول ، ففنى الضمير للدلالة على ما ذكر . أو الألف بدل من نون التأكيذ ، لأنها تبدل ألفاً في الوقف ، فأجرى الوصل مجراه - أوجه ذكروها - .

وقال ابن جرير^(١) : أخرج الأمر للقرين ، وهو بلفظ واحد ، مَخْرَجَ خطاب الاثنين .

وفي ذلك وجهان من التأويل :

أحدهما - أن يكون القرين بمعنى الاثنين ، كالرسول ، والاسم الذي يكون بلفظ الواحد في الواحد والتثنية والجمع . فردّ قوله (أَلْقِيَا) إلى المعنى .

والثاني - أن يكون كما كان بعض أهل العربية يقول . وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الاثنين ، فتقول للرجل : ويلك ! ارحلها ، وازجرها ، كما قال^(٢) :

فقلتُ لصاحبي لَا تَحْسِبَانَا بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْتَرَّ شَيْحَا

وقال أبو ثروان^(٣) :

فإن تزجراني يا ابنَ عفانَ أنْزَجِرْ وإنْ تدعاني أحمرَ عرْضا ممنعاً

(١) انظر الصفحة رقم ١٦٥ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) البيت لمضرّس بن ربعي الفقمسي .

(٣) البيت لسويد بن كراع العكلى . وهو رابع أبيات ثلاثة أولها :

تقول ابنة العوفى ليلي : ألا ترى إلى ابن كراع لا يزال مُفْزَعاً

وسبب ذلك منهم ، أن الرجل أدنى أعوانه في إبله وغنمه ، اثنان . وكذلك الرقة أدنى ما تكون ثلاثة . فجرى كلام الواحد على صاحبيه . ألا ترى الشعراء أكثر شيء قتيلا : يا صاحبي ، يا خليلي . انتهى .

و (الكفار) المبالغ في جده وحدانية الله تعالى ، وما جاء به رسوله صلوات الله عليه . و (العنيد) المعاند للحق ، وسبيل الهدى ، لا يسمع دليلا في مقابلة كفره . وقد زاد على العناد بوصف :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ)

« مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ » أى السكى ، وهو الإسلام . أو المال . واستصوب ابن جرير ^(١) أنه هنا كل حق وجب لله أو لآدمي في ماله ، لأنه لم يخص منه شيء ، فدل على أنه كل خير يمكن منعه طالبه « مُعْتَدٍ » أى متجاوز الحد في الاعتداء على الناس ، بالبذاء والفحش في المنطق ، وببده بالسطوة والبطش ظلما ، كما قال قتادة : معتد في منطقته وسيرته وأمره . « مُرِيبٍ » أى شاك في الحق ، أو موقع صاحبه في الريب مع كثرة الدلائل .

وقال القاشاني : الخطاب في (أَلْقِيَا) للسائق والشهيد اللذين يوبقانه ويلقيانه ويهلكانه في أسفل غياهب مهواة الهيمولى الجسمانية ، وغياصة جب الطبيعة الظلمانية ، في نيران الحرمان . أو لمالك . والمراد بتثنية الفاعل تكرار الفعل ، كأنما قال : ألق ، ألق ، لاستيلائه عليهم في الإبعاد والإلقاء إلى الجهة السفلية . ويقوى الأول : أنه عدد الرذائل الموبقة ، التي أوجبت استحقاقهم لعذاب جهنم ، ووقعهم في نيران الجحيم ، وبين أنها من باب العلم والعمل . والكفران ومنع الخير ، كلاهما من إفراط القوة البهيمية الشهوانية ، لانهما كها في لذاتها ، واستعمالها نعم الله تعالى في غير مواضعها من المعاصي والاحتجاب عن المنعم بها ، ومن حقها

(١) انظر الصفحة رقم ١٦٦ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

أن تذكره، وتبعث على شكره، ومكالبتها عليها ، لفرط ولوعها بها، فتمنعها عن مستحقها. وذكرها على بناء المبالغة ، ليدل على رسوخ الرذيلتين فيه ، وغلبتهما عليه ، وتعمقه فيهما ، الموجب للسقوط عن رتبة الفطرة في قعر بئر الطبيعة . والعنود والاعتداء ، كلاهما من إفراط القوة الغضبية ، واستيلائها ، لفرط الشيطنة ، والخروج عن حد العدالة . والأربعة من باب فساد العمل . والريب والشرك . كلاهما من نقصان القوة النطقية ، وسقوطها عن الفطرة ، بتفريطها في جنب الله، وقصورها عن حد القوة العاقلة . وذلك من باب فساد العلم . انتهى .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٦] (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ)

« الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ » أى : عبد معه معبوداً آخر من خلقه « فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ » أى عذاب جهنم .

لطيفة :

الموصول إما مبتدأ مضمن معنى الشرط ، وخبره (فَأَلْقِيَاهُ) أو مفعول لمضمر يفسره (فألقياه) أو بدل من (كل كفار) فيكون (فألقياه) تكريراً للتوكيد . قيل على الأخير : إنه مخالف لما ذكره أهل المعاني من أن بين المؤكد والمؤكد شدة اتصال تمنع من العطف . وأجيب : بأنه من باب (وحقك ثم حقك) نزل التغاير بين المؤكد والمؤكد، والمفسر والمفسر ؛ منزلة التغاير بين الذاتين بوجه خطابي . ولو جعل (العذاب الشديد) نوعاً من عذاب جهنم ومن أهواله ، على أنه من باب ^(١) (وَمَلَأَ مَكَّةَ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ) كان حسفاً .

قال الشهاب (بعد نقله ما ذكر) : قال ابن مالك في (التسهيل) : فصل الجملتين في التأكيد بـ (ثم) إن أمن اللبس ، أجود من وصلهما . وذكر بعض النحاة الفاء . وذكر

(١) [٢ / البقرة / ٩٨] .

الزخمرى في (الجاثية) الواو أيضاً . واتفق النحاة على أنه تأكيد اصطلاحى ، وكلام أهل المعانى فى إطلاق منعه غير سديد . انتهى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٧] (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)

« قَالَ قَرِينُهُ » أى قرين هذا الإنسان الكفار المناع للخير ، وهو شيطانه الذى كان موكلًا به فى الدنيا ، متبرئًا منه « رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ » أى بالإرابة ومنع الإسلام ، وجعل له آخر معك « وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ » أى فى طريق جائر عن سبيل الهدى ، جوراً بعيداً بنفسه .

قال القاشانى : وقول الشيطان (مَا أَطْغَيْتُهُ ...) الخ كقوله ^(١) (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلُمُوا أَنْفُسَكُمْ) لأنه لو لم يكن فى ضلال عن طريق التوحيد ، بعيد عن الفطرة الأصلية بالتوجه إلى الجهة السفلية ، والتغشى بالغواشى المظلمة الطبيعية ، لم يقبل وسوسة الشيطان ، وقبل إلهام الملك . فالذنب إنما يكون عليه بالاحتجاب من نور الفطرة ، واكتساب الجنسية مع الشيطان فى الظلمة . انتهى .

وقال ابن جرير ^(٢) : وإنما أخبر تعالى عن قول قرين الكافر له يوم القيامة ، إعلاماً منه عباده ، تبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٨] (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ)

« قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ » أى لا تختصموا اليوم فى دار

(١) [١٤ / إبراهيم / ٢٢] .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٦٨ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

الجزاء ، وموقف الحساب ، فلا فائدة في اختصامكم ، وقد قدمت إليكم في الدنيا بالوعيد لمن كفر بي وعصاني ، وخالف أمرى ونهى في كتبي ، وعلى ألسن رسل .
قال القاشاني : النهى عن الاختصام ليس المراد به انتهاءه ، بل عدم فائدته ، والاستماع إليه . كأنه قال : لا اختصام مسموع عندي . وقد ثبت وصح تقديم الوعيد ، حيث أمكن انتفاعكم به ، لسلامة الآلات ، وبقاء الاستعداد ، فلم تنتفعوا به ، ولم ترفعوا لذلك رأساً ، حتى ترسخت الهيآت المظلمة في نفوسكم ، ورائت على قلوبكم ، وتحقق الحجاب ، وحق القول بالعذاب . انتهى .

وعن ابن عباس : أنهم اعتذروا بغير عذر ، فأبطل الله حجبتهم ، ورد عليهم قولهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٢٩] (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)

« مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ » قال ابن جرير ^(١) : أى ما يغير القول الذى قلته لكم في الدنيا وهو قوله (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ، ولا قضائى الذى قضيته فيهم فيها .

« وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » أى فلا أعذب أحداً بذنب غيره ، ولكن بذنبه بعد قيام الحججة عليه .

وقال القاشاني : (وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ) حيث وهبت الاستعداد ، وأنبت على السكال المناسب له وهديتكم إلى طريق اكتسابه ، بل أنتم الظالمون أنفسكم باكتساب ما ينافيه ، وإضاعة الاستعداد بوضع النور في الظلمة ، واستبدال ما يبنى بما يبق .

(١) انظر الصفحة رقم ١٦٨ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

تنبيهات :

الأول - ظاهر الآيات أن هذا التقاؤل على حقيقته ، إذ لا مانع منها . وذهب بعض المفسرين إلى أنها مجاز .

قال القاشاني : هذه المقاولات كلها معنوية ، مثلت على سبيل التخييل والتصوير ، لاستحكام المعنى في القلب ، عند ارتسام مثاله في الخيال . فادعاء الكافر الإطغاء على الشيطان ، وإنكار الشيطان إياه ، عبارة عن التنازع والتجاذب الواقع بين قوته : الوهمية والعقلية ، بل بين كل اثنتين متضادتين من قواه : كالغضبية والشهوية مثلاً . ولهذا قال : (لَا تَخْتَصِمُوا) ولما كان الأمران في وجودهما العقلية والوهمية ، كان أصل التخاصم بينهما . وكذا يقع التخاصم بين كل متحاورين متخاوضين في أمر ، لتوقع نفع أولدة ، يتوقفان ما دام مطلوبهما حاصلًا ، فإذا حرما أوقعا بسمعهما في خسران وعذاب ، تدارءا ، أو نسب كل منهما التسبب في ذلك إلى الآخر ، لاحتجابهما عن التوحيد ، وتبرؤ كل منهما عن ذنبه ، لمحبة نفسه . ولذلك قال حارثة رضى الله عنه للنبي عليه السلام : ورأيت أهل النار يتماورون . وصوب عليه السلام قوله . انتهى .

الثاني إن قلت : لم طرحت الواو من جملة (قَالَ قَرِينُهُ) وذكرت في الأولى ؟ قلت : لأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاؤل ، كما رأيت في حكاية المفاولة بين موسى وفرعون .

فإن قلت : أين المفاولة ؟ قلت : لما قال قرينه (هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ) وتبعه قوله (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) وتلاه (لَا تَخْتَصِمُوا) - علم أن ثمَّ مفاولة من الكافر ، لكنها طرحت للدلالة عليها من السياق كأنه لما قال القرين : هذا ما لدى عتيد ، قال الكافر : رب هو أطغاني ، فلما قال الكافر ذلك ، قال القرين : ما أطغيتي ، فلما حكى قول القرين والكافر ، كأن قائلًا يقول : فإذا قال الله تعالى ؟ فتيل : قال لا تخصموا لدى . وذكر الواو في الجملة

الأولى لأنها أول المقابلة ، ولا بد من عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول ، أعني مجيء كل نفس مع الملائكين ، وقول قرينه ما قال له - هذا ما يخص ما في الكشاف - .

الثالث - جوز قوله تعالى (يَا لَوَعِيدٍ) أن تكون الباء زائدة في المفعول ، وأن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول ، والباء للملابسة ، أو المعية . والمعنى : قدمت هذا القول موعداً لكم به ، أو حال كون القول ملتبساً بالوعيد ، أو من (لَا تَخْتَصِمُوا) على تأويل تقديم الوعيد بالعلم به . أى : لا تختصموا عالمين به . وذلك لتصح الحالية ، ويكون بينها وبين عاملها مقارنة على اصطلاحهم .

الرابع - دل قوله تعالى (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) على أنه لاخلف في إبعاد الله تعالى ، كما لا إخلاف في ميعاد الله . وهذا يرد على المرجئة ، حيث قالوا : ماورد في القرآن من الوعيد فهو تخويف ، لا يحقق الله شيئاً منه ، وقالوا : الكريم إذا وعد أنجز ووفى ، وإذا أوعد أخلف وعفا - أفاده الرازي - .

ووجه الاستدلال أنه لو صح ما ذكره للزم تبديل قوله تعالى ، والخلف في أخباره - تقدس عن ذلك - مع أن طبيعة الذنب تقتضي العقوبة ، إلا أن يقاب منه ، أو يشاء تعالى العفو عنه .

الخامس - ذكروا في سر المبالغة في (يَظْلِمُونَ) وجوهاً :

منها - أن (قَمَالاً) قد ورد بمعنى (فاعل) ، فهذا منه .
ومنها اعتبار كثرة الخلق .

ومنها - أن المنسوب في المعتاد إلى الملوك من الظلم تحت ظلمهم ، إن عظيماً فعظيم ، وإن قليلاً فقليل . فلما كان ملك الله تعالى على كل شيء ملكه ، قدس ذاته عما يتوهم بخذول ، والعياذ بالله ، أنه منسوب إليه من ظلم تحت شمول كل موجود .

القول في تأويل قوله تعالى:

[٣٠] (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ)

« يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ » قال ابن جرير^(١) : فيه

لأهل التأويل قولان :

الأول - أن معناه : مامن مزيد. فمن مجاهد قال : وعدها الله لئلا يملأها فقال : هلا وفيتك؟

قالت : وهل من مسلك ؟!

الثاني - معناه : زدني .

أى : فلاستفهام على الأول إنكارى . معناه النفي ، وأيد^(٢) بآية (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) والقرآن يفسر بعضه بعضاً . وعلى الثاني تقريرى ، دلالة على سعتها ، بحيث يدخلها من يدخلها ، وفيها فراغ وخلوّ ، كأنه يطلب الزيادة .

فإن قيل : الوجه الثاني ، وهو كونها فيها فراغ ، مناف لصريح النظم من قوله (لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ . . .) الآية . قلت لا منافاة بينهما كما توهم ، لأن الامتلاء قد يراد به أنه لا يخلو طبقة منها عن يسكنها ، وإن كان فيها فراغ كثير . كما يقال : إن البلدة ممتلئة بأهلها ، ليس فيها دار خالية ، مع ما بينها من الأبنية والأفضية . أو هذا باعتبار حالين . فالفراغ في أول دخول أهلها فيها ، ثم يساق إليها الشياطين ونحوهم فتمتلئ .

تنبيه :

ذهب جماعة إلى أن المقابلة في الآية مجاز على طريق الاستعارة التمثيلية ، وأن جهنم لشدة

توقدها وزفيرها . وتهافت الكفرة والعصاة ، وقذفهم فيها ، كأنها طالبة للزيادة .

وآخرون إلى أن ذلك حقيقة .

(١) انظر الصفحة رقم ١٦٩ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية)

(٢) [١١ / هود / ١١٩] و [٣٢ / السجدة / ١٣] .

قال الناصر في (الاتصاف) : إنا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقة، وأن الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه . وكيف تفرض ، وقد وردت الأخبار وتظاهرت على ذلك؟ منها هذا ، ومنها لجأ الجنة والنار ، ومنها اشتكاؤها إلى ربها ، فأذن لها في نفسين . وهذه وإن لم تكن نصوصاً ، فظواهر يجب حملها على حقائقها ، لأننا متعبدون باعتقاد الظاهر ، ما لم يمنع مانع ، ولا مانع ههنا ، فإن القدرة صالحة ، والعقل يجوز ، والظواهر قاضية بوقوع ما جوزه العقل . وقد وقع مثل هذا قطعاً في الدنيا ، كتسليم الشجر ، وتسليم الحصى في كف النبي ﷺ ، وفي يد أصحابه . ولو فتح باب المجاز والعدول عن الظاهر في تفاصيل المقالة ، لاتسع الخرق ، وضل كثير من الخلق عن الحق . وليس هذا كالظواهر الواردة في الإلهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها ، فإن العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد إلى أدلة العقل المرشدة إلى المعتقد الحق . انتهى .

قال الشهاب : وهو كلام حسن ، وأمور الآخرة لا ينبغي أن تقاس على أمور الدنيا . انتهى ولا تنس ما قلناه مراراً من أن اللغة لا تنحصر في الحقيقة ، وأن أكثر اللغة مجاز لا حقيقة ، كما أوضحه السيوطي في (المزهر) والجرجاني في (أسرار البلاغة) . وفي شواهد العرب الكثيرة ما يؤيد المجاز ، ولا محذور فيه ، عدا عن كونه أبلغ ، كما قرروه . وبالجملة ، فالنظم الكريم يحتملها - والله أعلم - .

و (يوم) منصوب بـ (ظلام) أو بمضمر ، نحو : اذكر وأنذر . و (المزيد) إما مصدر كالحميد ، أو اسم مفعول كالجميع .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣١] (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ)

« وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ » أي قربت وأدنت « لِلْمُتَّقِينَ » أي الذين اتقوا ربهم تخافوا عقوبته ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه « غَيْرَ بَعِيدٍ » أي مكاناً غير بعيد . فهو صفة للظرف قام

مقامه ، أو حال من الجنة . وتذكيره لأنه صفة مذكر . أى : شيئاً غير بعيد . أو تأويل الجنة بالبستان . أو لكونها على زنة المصدر الذى من شأنه أن يستوى فيه المذكر والمؤنث ، فعمول معاملته ، وأجرى مجراه . وعلى كل فهو للتأكيد ، ودفع التجوز ، فلا يقال بعد ذكر كونها قربت ، لا يحتاج إلى كونها غير بعيدة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٢] (هَذَا مَا توعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ)

« هَذَا » أى الثواب أو الإزلاف « مَا توعَدُونَ » أيها المتقون « لِكُلِّ أَوَّابٍ » أى راجع عن معصية الله إلى طاعته ، تائب من ذنوبه « حَفِيفٍ » أى حافظ على فرائض الله وما أتمننه عليه .

وقال القاشانى : أى محافظ على صفاء فطرته ونوره الأصلى ، كى لا يتكدر بظلمة النفس . و (لكل) بدل من (للمتقين) بإعادة الجار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٣] (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ)

« مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ » أى خاف الله فى سره . وقال القاشانى : أى من اتصف بالخشية ، وصارت الخشية مقامه . و (من) بدل بعد بدل ، أو خبر لمحذوف . أى هم من خشى . أو مبتدأ خبره مابعد بتأويل (يقال لهم ادخلوها ... الخ) « وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ » أى جاء ربه بقلب تائب من ذنوبه ، راجع مما يكرهه تعالى إلى ما يرضيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٤] (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ، ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ)

[٣٥] (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ، وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)

« ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ » أى يقال لهم ادخلوا هذه الجنة بأمان من الهم والحزن والخوف .

« ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا » أى مما تشتهيه نفوسهم ، وتلذه أعينهم « وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ » أى مما لا يحيط على بالهم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٦] (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ

هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ)

« وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ » أى قبل هؤلاء الشركين من قريش « مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا » أى قوة ، كعاد وفرعون وحمود « فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ » أى فاضربوا فيها وساروا وطافوا أقاصيها . قال امرؤ القيس ^(١) :

لقد نقبت فى الآفاق حتى رصيت من الغنيمه بالإياب

« هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ » أى هل كان لهم ، بتفقيهم فى البلاد ، من معدل عن الهلاك الذى وعدوا به لتكذيبهم الحق . والضمير على هذا فى (نقّبوا) للقرن الذين هم أشد بطشاً . وجوز عوده لهؤلاء الشركين . أى ساروا فى أسفارهم فى بلاد القرون ، فهل رأوا لهم محيصاً حتى يتوقعوا مثله لأنفسهم ؟

قال ابن جرير ^(٢) : وقرأت القراء قوله (فَنَقَّبُوا) بالتشديد وفتح القاف ، على وجه

(١) من قصيدته التى مطلعها :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

انظر الصفحة رقم ٩٩ من الديوان (طبعة المعارف) .

الرواية فى جميع نسخ الديوان (طوّفت) وفى هامش شعراء النصرانية (وفى رواية نقبت طوّفت) : أكرّث الطواف والمشي فى نواحي الأرض حتى شق على ذلك . وصرت

أرى الرجوع إلى أهلى من غير ظفر ولا فائدة ولا غنيمة . والإياب : الرجوع .

(٢) انظر الصفحة رقم ١٧٦ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

الخبر عنهم . وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ (فَنَقَّبُوا) بكسر القاف ، على وجه التهديد والوعيد . أى طوفوا فى البلاد وترددوا فيها ، فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٧] (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)

« إِنَّ فِي ذَلِكَ » أى فى إهلاك القرون التى أهلكت من قبل قریش « لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ » أى لتذكرة يتذكر بها من كان له عقل من هذه الأمة ، فينتهى عن الفعل الذى كانوا يفعلونه من كفرهم بربهم ، خوفاً من أن يحل بهم مثل الذى حلّ بهم من العذاب .

« أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ » أى أصغى للأخبار ، عن هذه القرون التى أهلكت ، بسمعه . « وَهُوَ شَهِيدٌ » أى حاضر القلب ، متفهم لما يخبر به عنهم ، غير غافل ولا ساه . على أن (شهيد) من الشهود ، وهو الحضور . والمراد : المتفطن ، لأن غير المتفطن كالفاتى ، فهو استعارة أو مجاز مرسل . أو (شهيد) بمعنى شاهد ، وفيه مضاف مقدر . أى : شاهد ذهنه . أو هو من الشهادة ، والمراد : شاهد بصدقه ، أى : مصدق له ، لأنه المؤمن الذى ينتفع به . أو هو كناية عن المؤمن - نقله الشهاب - .

لطيفة :

قيل : (أو) لتقسيم المتذكر إلى تال و سامع ، أو إلى فقيه ومتعلم ، أو إلى عالم كامل الاستعداد لا يحتاج لغير التأمل فيما عنده ، وقاصر محتاج للتعليم فيتذكر إذا قبل بكليته ، وأزال الموانع بأسرها . وفى تنكير (القلب) وإبهامه ، تفخيم وإشعار بأن كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ، كلا قلب .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٨] (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ)

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ »
أى إعياء .

قال قتادة : أ كذب الله اليهود وأهل الفري على الله ، وذلك أنهم قالوا إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح يوم السابع ، وذلك عندهم يوم السبت ، وهم يسمونه يوم الراحة .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٩] (فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ)

[٤٠] (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ الشُّجُودِ)

« فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ » يعنى : المشركين من إنكار البعث والتوحيد والنبوة ،
« وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ الشُّجُودِ » أى أعقاب الصلوات . والمراد بالتسبيح إما ظاهره ، وهو قرين التحميد ، أو هو الصلاة ، من إطلاق الجزء ، أو اللزوم على الكل ، أو اللزوم . فالصلاة قبل الطلوع ، الصبح . وقبل الغروب ، الظهر والعصر . ومن الليل ، العشآن والتهجد . وأدبار السجود . النوافل بعد المكتوبات .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤١] (وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ)

[٤٢] (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ)

«وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ» أى استمع، أى لما أخبرك به من أهوال القيامة . يوم ينادى مناديهـا من كل مكان قريب ، بحيث يصل نداؤه إلى الكل على سواء . قال القاضى : ولعله فى الإعادة نظير (كن) فى الإبداء . أى فهو تمثيل لإحياء الموتى بمجرد الإرادة ، وإن لم يكن نداء وصوت .

وفى ورود الأمر مطلقا ، ثم تعيينه بما بعده ، تهويل وتعظيم للخبر به ، لما فى الإبهام ثم التفسير ، من التهويل والتفخيم لشأن المحدث عنه .

« يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ » أى صيحة البعث من القبور ، والحشر للجزاء « بِالْحَقِّ » قال ابن جرير ^(١) : يعنى بالأمر بالإجابة لله إلى موقف الحساب .
« ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ » أى من القبور .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٣] (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ)

« إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ » أى فى الدنيا بإفـاضة نور الحياة أو قطعه « وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ » أى مصير الجميع يوم القيامة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٤] (يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَآعًا ، ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ)

« يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَآعًا » أى فيخرجون منها مسرعين « ذَلِكَ حَشْرٌ

(١) انظر الصفحة رقم ١٨٣ من الجزء السادس والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

عَلَمِينَا يَسِيرٌ « أى ذلك الإخراج لهم جمع فى موقف الحساب ، علينا سهل بلا كلفة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٥] (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ، فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)

« نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ » يعنى : مشركى مكة ، من فريتهم على الله ورسوله ، وإنكارهم قدرته تعالى على البعث . وهو تسليمة لرسول الله ﷺ ، وتهديد لهم . « وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ » أى بمسلط ومسيطر تقهرهم على الإيمان . « فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ » أى بل إنما بعثت مذكراً ومبلغاً ، فذكر بما أنزل إليك من يخاف الوعيد الذى أوعده من عصى وطغى ، فإنه ينتفع به .

ومن دعاء قتادة : اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ، ويرجو موعدك ، يا باراً يا رحيم !